المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث
العدد الأول – المجلد الخامس
مارس 2019 م
ISSN: 2518-5780

المجلة العربية للعلوم و نشر الأبحاث
Arab Journal of Sciences & Research Publishing
AJSRP

تجليات العجائبي في أدب الرحلات

أشواق فهد الرقيب
جامعة الطائف || المملكة العربية السعودية

الملخص: يدور البحث حول مفهوم العجائبي في أدب الرحلة، حيث تجلت صورته بشكل واضح في هذا الفن الأدبي، وتنوعت موضوعاته وأشكاله.

وقد تحدد مجال البحث برحلتين تمثلان القديم والحديث و هما: رحلة ابن بطوطة المسماة " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "

ورحلة أنيس منصور الموسومة ب " حول العالم في 200 يوم "

وبدأ البحث بمفهوم الرحلة لغةً واصطلاحًا، وأهميتها، وأبرز وظائفها.

ثم مفهوم العجائبي لدى عدد من النقاد العرب والغرب، وأبرز تجلياتها في نصوص الرحلات. مع ذكر نماذج تطبيقية لأبرز عناصر العجائبي وهي: الحدث العجائبي، والشخصية العجائبية، والمكان العجائبي.

ويختتم البحث بأهم النتائج التي توصل إليها، وقائمة بالمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: مفهوم العجائبي، أدب الرحلة، النقد الأدبي، ابن بطوطة، أنيس منصور.

مقـــدمة

برز أدب الرحلة بوصفه نوعًا أدبيًا يحمل خصائص أدبيّة ومعرفيّة متنوعة. فعلى مستوى المضمون يحمل هذا الفنّ الأدبي معارف متنوعة تاريخيّة وجغرافيّة و أدبيّة و دينيّة. أما على مستوى الشكل نجد السرد والحوار والوصف والتّناص القرآني والشعري وغير ذلك. وتحضر هذه الأشكال متفاوتة في النص الرحلي، وتساهم في بناء دلالاته و أبعاده الفنيّة.

وأدب الرحلة من الفنون الأدبيّة التي لا تخضع لمعايير الأجناس الأدبيّة، ولا يلتزم ببنية محددة تكشف عن ماهيته ! وتضعه ضمن حدود الجنس الأدبي. فبالنظر إلى بنية النص الرحلي نجده منفتح على كافة أنواع الخطابات.

ولعل هذا الأمر يعود في المقام الأول إلى سارد الرحلة، ف لكل رحالة تصوراته ومشاهداته ومرجعياته المختلفة، ومن هنا ينتج خطاب أدبيّ مختلف السمات والملامح.

ولا شك أن اختلاف الأماكن والأزمنة يقتضي كذلك تنوعًا في مادة الرحلات، وتشكيلها السرديّ. حيث نجد رحلات ذات طابع دينيّ كرحلات الحج والعمرة إلى الحجاز، ورحلات ذات طابع تاريخي ك الرحلات إلى الأندلس (إسبانيا) حديثا، وهناك الرحلات ذات الطابع العجائبي، ك الرحلات إلى بلاد الصين والهند وغيرها.

ويعد الطابع الاجتماعيّ أحد الركائز الأساسية التي تقوم عليها مادة الرحلات. فلا يمكن أن تخلو رحلة من الرحلات من ذكر طبائع الشعوب وعاداتهم.

إن انتاج النص الرحلي يستدعي من الراوي استثمار كافة الخطابات المعرفية التي تتناوب مع الخطاب الإبداعي الأدبي، وتشكل معماراً خاصاً وبنية سردية مكتملة.

والخطاب بصورة عامة يعمد إلى توظيف اللغة، ومشاركة المعنى مع المتلقي، فهو يقوم على الإيصال بين طرفين: أحدهما المرسل، وثانيهما متلقي النص.

والأدب- كما أشار صلاح فضل- خطاب نصي كلي وليس وحدات جزئية، وبقدر ما يتولد في هذا الخطاب الإبداعي من أنساق جماليّة وإنسانيّة جديدة، وما تسفر عنه علوم الإنسان من معرفة بعالمه الداخلي والخارجي؛ فإن الخطاب البلاغي لا مناص له من أن يسبح فوقها ويقتنص أشكالها [1].

ويقوم هذا البحث على دراسة العجائبي بوصفه أسلوبًا خطابيًا في أدب الرحلات. كما يسلط الضوء على تقنيات الوصف في بعض الرحلات المختارة. حيث يقترن العجائبي بالوصف الذي يتبدَّى في جميع مستويات النص الرحلي. ويشكل الوصف إلى جانب السرد أحد الأعمدة الرئيسية في بناء الرحلة.

ويتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المبحث الأول: أدب الرحلة قديما وحديثا

المبحث الثاني: مفهوم العجائبي

المبحث الثالث: تجليات العجائبي في أدب الرحلة

وأخيرًا أرجو من الله أن يوفقني فيما قدمته من جهد في هذا البحث الذي لا أدعي فيه الكمال؛ فإن أصبت فمن الله وهو المستعان، وإن أخطأت فمن نفسي. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المبحث الأول: أدب الرحلة قديمًا وحديثًا:

1- مفهوم الرحلة-لغة:

جاء في «لسان العرب»: «الترحيل والرحال بمعنى الأشخاص والإزعاج. يقال: رحل الرجل إذا سار، وأرحَلْتُه أنا. ورجل رحولٌ، وقوم رُحَّلٌ، أي: يرتحلون كثيرًا»[2].

واشُتق من الرحلة: الراحلة، فنقول: «الرَّحُولُ والرَّحُولةُ من الإبل: التي تصلح أن ترحل، وهي الراحلة تكون للذكر والأنثى»[3].

ومن معاني الرحلة التي وردت في «القاموس المحيط»: «الارتحالُ: الوجهُ الذي تقصده، والسفرة الواحدة، والرحيل: اسم ارتحال القوم. وارتحل البعير: سار ومضى، والقوم عن المكان: انتقلوا، كَتَرحَّلوا. والاسم: الرُّحلة بالضم أو الكسر»[4].

- اصطلاحًا:

تعددت مفاهيم الرحلة في الاصطلاح، إلا أنها تصب في قالب واحد، وهو فعل الانتقال والسفر من مكان إلى آخر، وقد عرفها **بطرس البستاني** بأنها «انتقال واحد- أو جماعة – من مكان إلى مكان آخر، لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة»[5].

---

(1) صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص، منشورات عالم المعرفة ،1992، ص 7.

(2) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، مج3، ج18، ص1609.

(3) المصدر نفسه، ص 1609.

(4) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، ص 1005.

(5) بطرس البستاني، دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت، 1884، ص564.

كما يرى **صلاح الدين الشامي** ف كتابه «الرحلة عين الجغرافيا المبصرة» أن الرحلة «تظل إنجازًا أو فعلًا أو مباشرة لما يعنيه أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة، أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه، والمكان الذي تنتهي إليه»[6].

أما **ناصر الموافي** فيعرف أدب الرحلات بأنه: «ذلك النثر الذي يصف رحلة- أو رحلات- واقعية، قام بها رحال متميز، موازنًا بين الذات والموضوع، من خلال مضمون وشكل مرنين، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه»[7].

فالرحلة إذن تسجيل ذاتيّ لما يمر به الرحالة وما يخبره من مشاهدات وانطباعات، وفي كثير من الأحيان تمتزج ذات الراوي (الرحالة) بالمتلقي، بحيث يصطحبه معه في تلك الرحلة، ويصبح جزءًا من أحداثها، وينتقل بين محطاتها وأزمنتها.

ولعل الأوصاف الدقيقة لدى بعض الكتاب تصنع تلك الألفة والارتباط بين المتلقي والراوي. لا سيما تلك الأوصاف التي تأخذ الطابع العجائبي والفانتازي، فتخلق بعدا خياليًا لدى المتلقي، وتضعه في إطار ذلك المشهد الموصوف.

2- أهمية الرحلة:

تعد الرحلة حقلًا مهمًّا في التراث الأدبي عند العرب، ولونًا أدبيًّا له مميزاته وخصائصه الفنية، التي تميزه عن غيره من فنون القول الأدبي.

واكتسب هذا اللون الأدبي أهميته في أنه قائم على تصوير جوانب الحياة المختلفة، وهو يتقاطع بشكل واضح مع حقول متعددة؛ كالجغرافيا، والتاريخ، والأخبار والسير، وغير ذلك. لذا فإن المطلّع على الرحلات يجد فيها إلى جانب المتعة مادة تثقيفية تعليمية، تساهم في إثراء فكره وإنارة بصيرته.

" وقد صاغت الرحلة الثقافة، وصاغت كذلك المجتمع، حيث تعد الرحلة أحد الأنماط النموذجية الموضوعاتية والرمزية الأكثر نتاجاً من بين أنماط الأدب الأخرى. فالرحلة قابلة للتجدد دائماً، وتشمل تنوعاً كبيرا في الأشكال والبنى" [8]

ويعد السرد القصصي هو المكون الرئيسي لمادة الرحلات، فالرحلة عبارة عن حكاية لها بداية ووسط ونهاية. ولهذا اتسمت بالشمولية؛ لأنها تجمع بعض خصائص القصة والرواية والسيرة الذاتية، حيث يرى الدكتور **شوقي ضيف** أن الرحلات «من أهم فنون الأدب العربي، لسبب بسيط؛ وهو أنها خير رد على التهمة التي طالما اتُّهم بها هذا الأدب، ونقصد تهمة قصوره في فن القصة»[9].

فيما يقول الباحث **فايز فرح**: «إذا كان التمثيل المسرحي أبًا للفنون؛ فإن أدب الرحلات- في رأيي- هو أبو الآداب؛ لأنه يحوي كلَّ ألوان وفنون الأدب»[10].

وبالرغم من أهميته الكبرى، إلا أنه لم يتخذ طابع الخصوصية إلا في عصورٍ متأخرة؛ فقد تأخر تدوين الرحلات في كتب مستقلة.

---

(6)صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، 1999، ص11.

(7)ناصر الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مكتبة الوفاء، القاهرة، ط1، 1995، ص41.

(8)كريزتسكي، فلاديمير، خطاب الرحلة ومعنى الغيرية، أعمال ندوة: الرواية والسفر-تقاطعات التخييلي والتسجيلي- كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء ، المغرب ، ص15.

(9)شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، ص7.

(10)فايز فرح، رحلات وحكايات، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1990، ص5.

" ووظائف أدب الرحلة متعددة، فهي ليست معرفة ووعيا فقط، وإنما هي متعة الكاتب على السواء، ومتعتها مرتبطة بوظائفها، وأهمها:

- متعة الحكي هي الخصيصة الأولى في أدب الرحلة وهي متعة متشابكة يشتبك فيها ما هو ذاتي ونفسي بما هو موضوعي واجتماعي بما هو فني وجمالي. وتزداد المتعة عندما يتوغل الرحَّالة في الحكي والسرد والتذكر وعقد الحكاية وفرعها.
- متعة المشاهدة تعود إليه عند إعادة سرد الحكايات والتفصيلات كما يفترض فيه المتلقي تحديد زمان الحكي والنقل الحكائي وصدق الوصف والاختيار.
- المتعة الوصفية وهي متعة قلب السمع إلى بصر، وتحويل المسموع إلى مرئي من قبل الرحالة " [11]

المبحث الثاني: العجائبي

تمهيد:

تعد الرحلة من الفنون الأدبية التي لا تخضع لخيال الكاتب وتتسم بالواقعية، كونها تسجيل ذاتيّ لمراحل انتقال الرحَّالة بين الأماكن والأزمنة المختلفة، فالرحَّالة يسجل ما يراه وما يخبره بواقعية ووضوح دون تزييف للحقائق.

وفي ضوء ذلك استشكل تحديد جنس الرحلة ضمن الأجناس الأدبية، فهناك من يضعها ضمن إطار السيرة الذاتية أو السيرة الغيرية التي تتخذ طابع الصدق، وهناك من يضعها ضمن اليوميات أو المذكرات الشخصية.

إلا أن الرحلة في كثير من جوانبها خرجت عن الإطار التقريري أو التسجيلي، إلى الجانب السردي القصصي العجائبي، حيث وظف الرحالة في رحلاتهم جميع أشكال السرد، واستلوا من الأدب عناصره المختلفة، حتى أصبحت الرحلة شكلًا فنًيا يزخر بالعناصر المتنوعة الأدبية وغير الأدبية.

ومن هذا المنطلق كان لابد من دراسة أحد تلك العناصر الفنية وتسليط الضوء على جوانبه المختلفة. وهو السرد العجائبي الذي اتخذ جانبا مهما في مادة الرحلات.

إضاءة على المصطلح:

يعتري مصطلح العجائبية إشكالية في ضبط وتحديد مفهومه ؛ وذلك لكثرة المفردات التي ينطوي عليها هذا المصطلح. مثل العجيب، والغريب، والخرافة، والأسطورة وما إلى ذلك.

"كما أن العجب والعجيب يمتدان إلى مساحات غائرة في عوالم النفس الخفية المولعة بكل جديد غير معتاد، وهو ما يوسع مساحة العجيب ليشمل كل الأشياء الموجودة في العالم، فلو لم يعتد الإنسان على رؤيتها لبدت له عجيبة وخارقة ومحيرة"[12].

والعجائبي في اللغة جمع عجيب، وقد جاء في لسان العرب **لابن منظور** " أن العجب ما يرِدُ عليك لقلة اعتياده"، وأن أصل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره قال: قد عجبت من كذا، والعجب النظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد"[13].

---

(11) الجيآر، مدحت، أدب الرحلة: مداخل لفهمه وتوظيفه، مجلة الرواية -قضايا وآفاق- الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، العدد13، ص32.

(12) محمد تنفو ، النص العجائبي، داركيوان ، دمشق، 2010، ط1، ص16.

فالعجائبي لغويًا هو الإنكار والتعجب و الخروج عن المألوف كما ورد في معظم المعاجم اللغوية. وقد عرفة **تودوروف** Tzvetan *Todorov* في كتابه (مدخل إلى الأدب العجائبي) بأنه: " التردد الذي يحسُّه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية، فيما هو يواجه حدثاً فوق- طبيعي حسب الظاهر" [(14)].

وإذا نظرنا إلى العجائبي من ناحية توظيفه في النصوص الأدبية فإننا نجد اختلافًا واضحًا في مفهومه وطريقة صياغته، فبعض القصص أو الروايات تستلهم العجائبي في كافة أجزاءها، مثل القصص ذات الطابع الشعبي أو الأسطوري كألف ليلة وليلة، ومما يندرج في السياق العجائبي كذلك رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري.

كما نجد بعض الفنون السردية التي توظف العجائبي في بعض أجزاءها، كفن الرحلة، "ويمكن اعتبار العجائبي جزءًا من المظهر التركيبي للحكاية. أي أنه يمكن أن يدخل في بنية أي حكاية أو رواية أو قصة، بتوظيفه كعنصر جمالي، تماما كما توظف الصور البلاغية النصوص عامة "[(15)].

ولا شك أن توظيف العجائبي في نصوص الرحلات منحها بعدًا جماليًا، حيث ساهم في إثارة المخيلة لدى المتلقي وتحرير الخيال، وقد جنح كثير من كتاب الرحلات إلى استخدام هذا العنصر في رحلاتهم، باعتباره وظيفة جمالية تساهم في تلقي النص بصورة غير نمطية.

والجدير بالذكر أن دلالة العنوان تشير كذلك إلى توظيف العجائبي في نصّ الرحلة، كرحلة **أنيس منصور** "أعجب الرحلات في التاريخ"، ورحلة **ابن بطوطة** (ت: 1377م) " تُحفة النُّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" وغيرها.

تلقي النص العجائبي:

إن تلقي النص الأدبي يشترك فيه السارد والمسرود له في آن معًا، وهي عملية قائمة على التأثير والتأثر، ولكل طرف قيمته وتأثيره على الطرف الآخر. فكلُّ نصٍ أدبيّ لابد أن يحمل عناصر جمالية تستجيب لتطلعات القارئ.

وتلقي النص هو " الفعل الذي يمارسه القارئ حالما تقع عيناه على نص، ساعيًا إلى إدراكه ووضعه في إطاره الزمني والمكاني، وإلى تحقيقه بما تيسَّر له من ثقافة...، فالنص بقدر ما يمضي من وظيفته التعليمية إلى وظيفته الجمالية؛ فإنه يترك للقارئ المبادرة التأويلية" [(16)].

وقد أشار **تودروف** Tzvetan *Todorov* أنه لتحقيق العجائبي، لابد من توفر ثلاثة شروط وهي:

الشرط الأول: لابد أن يحمل النص القاريء على اعتبار عالم الشخصيات كما لو أنهم أشخاص أحياء، وعلى التردد بين تفسير طبيعي وتفسير غير طبيعي للأحداث المروية.

الشرط الثاني: قد يكون هذا التردد محسوساً، بالمثل، من طرف شخصية، فيكون دور القارئ مفوضًا إليها. ويمكن بذلك أن يكون التردد واحدة من موضوعات الأثر، مما يجعل القارئ يتماهى مع الشخصية.

الشرط الثالث: ضرورة اختيار لطريقة خاصة في القراءة، من بين عدة أشكال ومستويات، تعبر عن موقف نوعي يقصي التأويلين المجازي والشعري...[(17)]

---

(13) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، دار صادر، بيروت. ص580.

(14)تزفتان تودوروف ، مدخل إلى الأدب العجائبي، ت: الصديق بو علام، دار الكلام، الرباط، ط1، 1993. ص 18.

(15) حسين علام، العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 ،2010، ص37.

(16)أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص 61، 63.

إذن نجد تأثير النص العجائبي الذي يمارسه على المتلقي، حيث يخلق لديه حالة من التشوق والترقب لما هو مألوف وغير اعتيادي، فتصبح قراءه النصوص الأدبية ذات الطابع العجائبي متعة للقارئ فهي تحفز مخيلته للنظر خارج حدود عالمه. ولعل هذا الأمر جعل من فن الرحلة متعة للقارئ، بما تحتويه من عجائب وغرائب البلدان، والشخصيات، والأحداث.

المبحث الثالث: تجليات العجائبي في نصوص الرحلات

يحفل أدب الرحلة بموروث حكائي يمتزج فيه الواقع بالخيال، والحقيقة بالأساطير والخرافات، وهذا ما جعله مجالاً خصبًا لدراسة العنصر العجائبي. حيث تميزت الرحلة بالتنوع والشمولية في أشكال القصّ والعناصر الفنية.

" فأدب الرحلة إذن، شكَّل في كثير من الأحيان رافدًا مهمًا من روافد العجائبية بالنظر إلى أن كثير من نصوصه قائم على مبدأ الإغراب والتعجيب، حيث تمتزج المعلومات بالمغامرات، والواقع بالأساطير، وتمتزج الذات بالمشاهدات، والتجربة والحكمة بالخيال، والسحر بالغرائب والعجائب "[18].

وتنوعت عناصر العجائبي في أدب الرحلة فنجد الوصف العجيب، والشخصية العجائبية، والحدث العجائبي، والمكان العجائبي، وكذلك غرائب العادات والتقاليد.

واستحضرها الرحالة بأنماط سردية مختلفة. فيأتي بعضها ضمن قصص أسطورية بعيدة عن المألوف والمنطق، وبعضها قصص واقعية نقلها الرحالة بصورة تخييلية تعاكس الواقع، وتشحذ ذهن المتلقي تفاعلًا مع الموقف.

ويرى أحد الباحثين أن ذلك التناقض بين ما هو واقعي وما هو خيالي هو الذي يولد تلك الحيرة وذلك القلق الطارئ الذي يخرق انسجام الفكر واستقرار المشاعر والوجدان. وإزاء هذه التناقضات، يتردد المتلقي في تفسير الوقائع والأحداث، بين التفسير الواقعي المعتمد على التقبل والتصديق، وبين استدعاء المخيلة وحملها على ما يمكن تفسيره بما هو طبيعي وواقعي [19].

وقد أشار تودروف إلى هذا التناقض بين عالميّ الواقع والخيال حيث قال: " إن البطل يشعر بشكل متواصل وبجلاءٍ، بالتناقض بين العالمين، عالم الواقعي وعالم العجائبي، وهو بنفسه مندهش أمام الأشياء الخارقة التي تحيطه"[20].

وفيما يلي عرض لأبرز العناصر العجائبية في الأدب الرحلات:

أولا: الوصف العجائبي:

يعد الوصف أحد العناصر الرئيسية التي يستند عليها أدب الرحلة بجانب السرد و الحوار، حيث تشكل تلك العناصر البناء الفني للرحلة، وتميز الرحالة _لاسيما الأدباء منهم_ بالدقة في الوصف والأسلوب الأدبي الرفيع.

كما امتازت أوصافهم بالطابع العجائبي في كثير من الأحيان، وإن لم يكن الموصوف خارجا عن حدود المألوف، فإن الرحالة ينقل المألوف إلى غير مألوف وهذا النوع من الوصف المدعوم بالخيال يصيب القارئ ويؤثر فيه.

---

(17) تزفتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، ت: الصديق بو علام، دار الكلام، الرباط، ط1، 1993. ص18.

(18) فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي، الدار العربية للكتاب ، القاهرة، 2002، ط2 ، ص13.

(19) مسعود بودوخه، الملمح العجائبي في أدب الرحلات: رحلة ابن بطوطة نموذجاً، مجلة الاستهلال، المغرب، العدد 10، 2016م، ص9.

(20) تزفتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، ص49.

مثل وصف **أنيس منصور** لمدينة هاواي حيث يقول: لم تطاوعني نفسي أن أشعر لحظة أنني سأغادر هذه البلاد السعيدة: الأرض في لون المانجو، والبحر في لون البنفسج، والموج ناعم كالشفاة، والأشجار متراخية كأنها لا تزال نائمة.. [21]

أتى الوصف هنا بأسلوب أدبي بديع حيث جسد الرحالة المدينة على هيئة إنسان وشبهها بالأنثى الجميلة النائمة.

ومن أوصافه العجيبة وصفه للمطر، يقول: "وفي الليل سقطت الأمطار بغزارة والذي حدث لا يمكن أن يكون مطراً...وإنما هو نوع غريب من ذوبان السماء فوق أدمغة الناس...السماء كانت قبة من الثلج سخنتها الشمس فسقطت مرة واحدة. وتحولت الأرض إلى قنوات...إلى بحيرات، وتحول الناس بقدرة قادر من مشاه إلى سباحين"[22].

ومن الأوصاف البديعة وصف **ابن بطوطة**(ت1377م) لقبة الصخرة حيث يقول: هي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً، قد توفر حظها من المحاسن، وأخذت من كل بديعة بطرف، وهي قائمة على نشز في وسط المسجد، يُصعد إليها في درج رخام، ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروش بالرخام أيضا، محكم الصنعة، وكذلك داخلها، وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة، ورائق الصنعة مايُعجز الواصف [23].

وتميز **ابن بطوطه** بأسلوبه الأدبي البديع في نقل غرائب الشعوب، واعتمد كثيرا على أسلوب المبالغة في الوصف حتى يصبح الواقع ضربا من ضروب الخيال.

ومن نماذج ذلك تصويره البديع لأحد الأئمة، يقول: «كان يعتم بعمامة خرقت المعتاد للعمائم، لم أر في مشارق الأرض ومغاربها عمامة أعظم منها. رأيته يومًا قاعدًا في صدر محراب وقد كادت عمامته أن تملأ المحراب»[24].

ثانياً: الشخصية العجائبية

تختلف الشخصية في أدب الرحلة عن الشخصيات في الفنون السردية الأخرى. وذلك لأن تلك الشخصيات تأتي في إطار القصة التي تدور حولها، أما في أدب الرحلة فإن الشخصيات واقعية و متعددة بتعدد الأماكن التي يزورها الرحالة. ولا تتخذ مسارًا معينًا وإنما تأتي عرَضاً في مسارات الرحلة المختلفة.

والرحالة هو الشخصية الرئيسية التي تتخذ مسارًا محددًا من انطلاق الرحلة وحتى نهايتها، وحضوره يأتي في معظم أجزاء الرحلة إلا حين تتوقف حركية السرد فيقف ليذكر بعض القصص التاريخية أو الدينية للمكان المرتحل إليه.

وتنوع حضور الشخصيات العجائبية في الرحلة، فنجد السحرة والمشعوذين، وكرامات الأولياء الخارقة، وكذلك الشخصيات المقدسة لدى بعض الشعوب مثل (الدلاي لاما) في الهند وغير ذلك.

ومن حكايات السحرة قصة **ابن بطوطه**(ت1377م) مع السحرة الذين لقِيهُم في مجلس أحد السادة، حيث دعاه الوالي للجلوس وأمر الساحران أن يرياه مالم يره، يقول: "فتربع أحدهما، ثم ارتفع عن الأرض حتى صار في الهواء فوقنا متربعاً، فعجبت منه وأدركني الوهم، فوقعت على الأرض. فأمر السلطان أن أسقى دواءً عنده، فأفقت وقعدت وهو على حاله متربع"[25].

---

(21) أنيس منصور، حول العالم في 200 يوم، دار نهضة ، مصر، ط8، 2018، ص 563

(22) المرجع السابق، ص 119.

(23) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المكتبة العصرية ، بيروت ، ص 60.

(24) المرجع السابق، ص 185.

(25) المرجع السابق، ص 150.

وكذلك ما أورده **أنيس منصور** عندما رأى ساحراً في الطريق، يقول: "لقد رأيت واحداً من الهنود يخرج كيسا به ثعابين ويطلق هذه الثعابين، فإذا هي تزحف اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة... ثم إذا هو يطبل ويزمر فتصبح هذه الثعابين على شكل حروف... هذه الحروف يتكون منها اسمي. وأغرب من ذلك أن هذا الحاوي الهندي سألني إن كان هذا اسمي، فأنكرت أول الأمر فنطق هو باسمي كاملا" [(26)].

وإلى جانب السحرة نجد كذلك الشخصيات المقدسة لدى بعض الشعوب، والتي اتخذت منزلة رفيعة في قلوب الناس، وأصبح تقديسها واجبًا. فعلى سبيل المثال كان امبراطور اليابان مقدساً، ويجب على أبناء شعبه تقديسه كما يأمرهم دينهم ؛ لأنه ابن الشمس كما يزعمون.

" وكان الإمبراطور محرماً على كل الناس لا يلمسه أحد، ولا يسلم عليه أحد، والناس لا يرونه لأنهم يخشونه دائماً... وقطار الإمبراطور عندما يمر على المحطات، فإن كل البيوت يجب أن تغلق النوافذ، ويجب ألا يكون في العاصمة بيت أعلى من القصر الإمبراطوري، والإمبراطور يرتدي ملابسه مرة واحدة ثم ينزعها ويهديها إلى أشد المخلصين له! "[(27)].

وتزخر كتب الرحلات بكثير من تلك القصص حول بعض الشخصيات العجيبة. ولاشك أن الرحالة يصبح لديه شغف لنقل تلك الأخبار للمتلقي، لخلق جو من الإثارة والترقب.

ثالثاً: الحدث العجائبي

تتميز الرحلة بالطابع التسلسلي للأحداث، فيبدأ السرد منذ نقطة الانطلاق، ثم محطات السفر المختلفة، وحتى طريق العودة.

كما تميزت الرحلة بالتنوع في العرض، وغنى المادة، وفقا للمسارات المتعددة التي يخوضها الرحالة، «وينفتح النص الرحلي ضمن دائرة متعددة المنافذ على أشكال أدبية وغير أدبية، ويتفاعل معها ممتصًّا جوهرها؛ لاستثماره في تعزيز نصيته سواء في شكل متخللات أو مكونات»[(28)].

وفي ضوء ذلك نجد تنوعًا جليًا في خطاب الرحلة، ما بين السرد الواقعي، والسرد العجائبي الذي يتخلل بعض أجزاء الرحلة، ويمنحها بعدًا جماليًا.

ومن موضوعات السرد العجائبي ذكر غرائب الشعوب في عاداتها وتقاليدها، وكذلك ذكر بعض الأساطير المتعلقة ببعض الأماكن.

مثل أسطورة الجسر الذي يفصل بين الهند وسيلان، التي ذكرها **أنيس منصور** بقوله: والمسافة التي تقطعها الطائرة بين مدراس وكولومبو كانت الأساطير القديمة تتحدث عنها وعن وجود جسر تاريخي عبر المحيط الهندي. هذا الجسر أقامته القرود بأن تماسكت بعضها في بعض. حتى قام أحد الأمراء وعبر على ظهر القرود من الهند إلى سيلان. ولذلك فالقرود حيوانات مقدسة! [(29)].

ومعظم تلك الأخبار غير قابلة للتصديق، إلا أن الرحالة قد يذكرها في رحلته من قبيل التنويع والتجديد في نمط الرحلة بين الواقعي والمتخيل، وكذلك لشد أنتباه القارئ.

---

(26) أنيس منصور، حول العالم في 200 يوم ، ص127

(27) المرجع السابق، ص420.

(28) شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، رواية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ط1، ص 56.

(29) أنيس منصور، حول العالم في 200 يوم، ص161.

ومن أنماط العجائبي ذكر عادات الشعوب، التي تمتاز معظمها بالغرابة. وساهم التنوع في بيئات الرحلة إلى إبراز الجانب الاجتماعي. وتقريب صورة المكان للمتلقي، فلم يكتف الرحلة بوصفه فحسب، وإنما تناول أبعاده المختلفة.

ومن أمثلة ذلك، يذكر **أنيس منصور** عادات أهل جزيرة (بالي) عند ولادة الطفل، فيقول: وعندما يولد الطفل تحتفل الأسرة بهذا الضيف الجديد وتستقبله استقبالاً حاراً، ويذهب كل أفراد الأسرة إلى الغابات فيجمعون ورقة من كل شجرة بحيث لا يزيد عدد الأوراق عن 7425 ورقة!

ثم يضعون هذه الأوراق تحت قدمي الأم، وعلى الأم أن تخطو عليها ورقة ورقة، والراهب وراءها يسدد خطاها ويتمنى أن يعيش ابنها بعدد الأوراق7425 مرة! ثم يحرق البخور ويأكلون جميعاً عشرات من أطباق الأرز المسلوق الموضوع فوق أوراق الموز، ثم يأكلون رجل سلحفاء مائية...ويشربون عليها عصير الدوم، ثم بعض الأسماك المجففة [30].

الخاتــمة

وأخيرًا آمل أن يكون هذه البحث قد ساهم في استجلاء صورة العجائبي في الرحلات، والكشف عن أبعاده المختلفة.

واستهل البحث بتعريف مفهوم الرحلة، وأهميتها، وابرز أعلامها القدماء والمحدثين.

أما المبحث الثاني فتناول مفهوم العجائبي في اللغة والاصطلاح. وكذلك تلقي المصطلح.

وفي المبحث الثالث ذكرنا تجليات العجائبي في نصوص الرحلات، مع تطبيقات على بعض النماذج المختارة.

أما النتائج التي تمخض عنها هذا البحث فيمكن رصدها في النقاط الآتية:

أولاً: تميز فن الرحلة بالغنى والشمولية في توظيف الأشكال الأدبية وغير الأدبية.

ثانياً: لم يتم تأطير الرحلة ضمن الأجناس الأدبية، فهي فن أدبي منفتح على كافة الأنواع السردية الأخرى.

ثالثاً: لقي مصطلح العجائبي اهتماما من النقاد العرب والغرب، وذلك لكونه أحد العناصر الفنية في الفنون السردية، التي يستعملها السارد لأغراض جمالية.

رابعاً: تنوعت مجالات العجائبي في أدب الرحلة، ولجأ الرحالة إلى توظيف الخطابات الأدبية وغير الأدبية التي تتوافق وتلك الظواهر العجائبية التي يشهدونها. فنجد الحدث العجائبي، والشخصية العجائبية، والوصف العجائبي.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت، وأحسنت فيما قصدت.

والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المكتبة العصرية، بيروت.

2- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، مج3، ج18.

30المرجع السابق ، ص261.

3- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005.
4- أنيس منصور، حول العالم في 200 يوم، دار نهضة، مصر، ط8، 2018.

ثانياً: المراجع

1- البستاني، بطرس، دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت، 1884.
2- الجيآر، مدحت، أدب الرحلة: مداخل لفهمه وتوظيفه، مجلة الرواية-قضايا وآفاق- الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، العدد13.
3- الشامي، صلاح الدين، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، 1999.
4- أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1996.
5- الموافي، ناصر، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مكتبة الوفاء، القاهرة، ط1، 1995.
6- بودوخه، مسعود، الملمح العجائبي في أدب الرحلات: رحلة ابن بطوطة نموذجاً، مجلة الاستهلال، المغرب، عدد10.
7- تزفتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، ت: الصديق بو علام، دار الكلام، الرباط، ط1، 1993.
8- تنفو، محمد، النص العجائبي، دار كيوان، دمشق، 2010، ط1.
9- حليفي، شعيب، الرحلة في الأدب العربي، رواية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ط1.
10- ضيف، شوقي، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4.
11- علام، حسين، العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
12- فرح، فايز، رحلات وحكايات، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1990.
13- فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، منشورات عالم المعرفة، 1992.
14- قنديل، فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2002، ط.
15- كريزتسكي، فلاديمير، خطاب الرحلة ومعنى الغيرية، أعمال ندوة: الرواية والسفر-تقاطعات التخييلي والتسجيلي- كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء، المغرب.

The Fantastic in the literature of the journey

Abstract: The research revolves around the concept of the Fantastic in the literature of the journey, where his image is clearly manifested in this literary art, and varied themes and forms.

The field of research has been defined by two journeys representing the old and the modern: Ibn Battuta's journey, called "masterpiece of the nobles in the strangeness of the monuments and the wonders of travel"

Anis Mansour's journey "Around the World in 200 Days"

Research began with the concept of the journey language and terminology, and importance, and highlighted functions.

Then the miraculous concept of a number of Arab and Western critics, and the most prominent manifestations in the texts of flights. With practical examples of the most miraculous elements: the miraculous event, the miraculous personality, and the miraculous place.

The research ends with the most important findings, a list of sources and references.

Keywords: Fantastic, journey Literature, Literary Criticism, Ibn Battuta, Anis Mansour.